يتجنب أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه . وقال أبو هاشم الزاهد : خلق الله الداء والدواء ، فالداء الدنيا ، والدواء تركها *

﴿ فصل منه ﴾

حضر بعض الرؤساء صلاة الجمعة وبه مرض لايحتمل معه تطويل الخطبة ، فصعد الخطيب المنبر . فقال : الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على أشرف الأنبياء والمرسلين ، أما بعد : فان الدنيا دار ممر ، والآخرة دار مقر ، فخذوا لمقركم من ممركم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم ، وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم * فما أبلغ هذا الخطبة وأفصحها ، وأوجزها ، فعمر الدنيا والله قصير ، وأغنى غنى فيها فقير ، وكأنى بك فى عرصة (١) الموت وقد استنشقت ريح الغربة قبل الرحيل ، ورأيت أثر اليتم فى الولد قبل الفراق ، فيتقظ إذن من رقدة الغفلة ، وانتبه من السكرة ، وأقلع حب الدنيا من قلبك ، فان العبد إذا غمض عينه وتولى ، تمنى الاقاله فقيل كلا . قال أبو عمران الجونى : مر سليمان بن داود عليهما السلام فى موكبه ، والطير تظله ، والجن والانس عن يمينه وشماله ، قال فمر عابد من عباد بنى اسرائيل فقال : والله يا ابن داود لقد أتاك الله ملكا عظيما !! قال : فسمع سليمان كلمته فقال : تسبيحة فى صحيفة مؤمن خير مما أعطى ابن داود ، ما أعطى ابن داود يذهب ، والتسبيحة تبقى *

﴿ فصل ﴾

من بذل وسعه فى التفكر التام ، علم أن هذه الدار رحلة ، فجمع للسفر رحله ، ويعلم أن مبدأ السفر من ظهور الآباء الى بطون الأمهات ، ثم الى الدنيا ، ثم الى القبر ، ثم الى الحشر ، ثم الى دار الاقامة الابدية ، فدار الاقامة هى دار السلام من

(١) عرصة الدار ، وسطها . اه من هامش الاصل

جميع الآفات ، وهي دار الخلود ، والمدو سبانا الى دار الدنيا ، فنجتهد فى فكاك أسرنا ، ثم فى حث السير الى الوصول الى دارنا الأولى ، وفى مثل هذا قيل :

فحى على جنات عدن فانها منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبى العدو فهل ترى نعود الى أوطاننا ونسلم

وليعلم أن مقدار السير فى الدنيا يسير يقطع بالأنفاس ، ويسير بالانسان سير السفينة لايحس بسيرها وهو جالس فيها ، كما قيل :

إنما هذه الحياة متاع فالغوى الشقى من يصطفيها
مامضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التى أنت فيها

ولا بد له فى سفره من زاد ، ولا زاد الى الآخرة الا التقوى ، فلا بد من تعب الشخص والتصبر على مرارة التقوى ، لئلا يقول وقت السير : أرجعون ، فيقال : كلا . فلينتبه الغافل من كسل مسيره فان الله تعالى يربه فى قطع مسافة سفره آيات يرسلها تخويفا لعباده ، لئلا يميلوا عن طريقهم المستقيم ، ومنهجهم القويم ، فمن مالت به راحلته عن طريق الاستقامة ، فرأى مايخاف منه ، فليرغب الى الله بالرجوع اليه عما ارتكبه من الكسل(١) فيتوب من معصيته ، ويبكى من قسوته ؛ فاذا انتبه من رقدة كسله ، علم أن الدنيا دار غرور طبعت على كدر .

كما روى ابن أبى الدنيا قال : أنشدنى الحسن بن السكن :

حياتك بالهم مقرونة فما تقطع العيش الا بهم
لذاذات دنياك مسمومة فما تأكل الشهد الا بسم
إذا تم أمر بدا نقصه توقع زوالا إذا قيل تم

(وكما قيل فى المعنى)

حكم المنية فى البرية جار ما هذه الدنيا بدار قرار

---

(١) فى الاصل « السبل » وهو خطأ ظاهر

بينا يرى الانسان فيها مخبراً حتى يرى خبراً من الأخبار
طبعت على كدر وأنت تريدها صفوا من الأقذاء والأكدار

قال بعض السلف : أحذروا دار الدنيا ، فانها أسحر من هاروت وماروت ، فانهما يفرقان بين المرء وزوجه ، والدنيا تفرق بين العبد وربه

وذكر ابن أبي الدنيا هذا الأثر مرفوعا ، قال جعفر بن سليمان : سمعت مالكا يقول : إتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء ـ يعنى الدنيا ـ وذكر ابن أبي الدنيا باسناده الى الحسن البصرى أنه كتب الى عمر بن عبد العزيز : أما بعد ، فان الدنيا دار ظعن ليست بدار إقامة ، وإنما أنزل آدم اليها عقوبة ، فاحذرها يا أمير المؤمنين ، فان الزاد منها تركها ، والغنى منها فقرها ، لها فى كل حين قتيل ، تذل من أعزها ، وتفقر من جمعها ، هى كالسم يأكله من لايعرفه وهو حتفه ، فكن فيها كالمداوى جراحته ، يحتمى قليلا ، مخافة مايكره طويلا ، ويصبر على شدة الدواء ، مخافة طول البلاء ، فاحذر هذه الدار الغرارة ، الحيالة الخداعة ، التى زينت بخدعها ، وفتنت بغرورها ، وختلت بآمالها ، وتشرفت لخطابها ، فاصبحت كالعروس المجلية (١) فالعيون اليها ناظرة ، والقلوب عليها والهة ، والنفوس لها عاشقة ، وهى لأزواجها كلهم قاتلة ، فلا الباقى بالماضى معتبر ، ولا الآخر على الأول مزدجر ، ولا العارف بالله عز وجل حين أخبر عنها مدكر ، فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسى المعاد ، فشغل فيها لبه حتى زالت عنها قدمه ، فعظمت ندامته ، وكثرت حسرته ، فخرج بغير زاد ، وقدم على غير مهاد ، فاحذرها يا أمير المؤمنين ، وكن أسر ما يكون فيها أحذر ماتكون لها ، فان صاحب الدنيا كلما اطمأن منها الى سرور ، أشخصه الى مكروه ، قد وصل الرخاء منها بالبلاء ، وجعل البقاء فيها الى فناء ، فسرورها مشوب بالحزن ، لايرجع منها ماولى فادبر ، ولايدر ماهو آت

(١) كذا بالاصل : والصواب « المجلوة » أى المتزينة

فينتظر ، أمانيها كاذبة ، وآمالها باطلة ، وصفوها كدر ، وعيشها نكد ، وابن آدم فيها على خطر ، ولقد عرضت على نبيك محمد ﷺ بمفاتيحها وخزائنها ، فأبى أن يقبلها ، كره أن يحب ما أبغض خالقه ، أو يرفع ما وضع مليكه ، فزواها عن الصالحين اختبارا ، وبسطها لاعدائه اغتراراً . جاءت الرواية أنه تبارك وتعالى قال لموسى عليه السلام : (إذا رأيت الغنا مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته ، وإذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين)

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً *

وفى آخر الأصل الذى طبعنا عليه مايأتى بخط المؤلف : —

علقها مؤلفها محمد بن محمد بن محمد المنبجى الحنبلى كان الله له وسامحه بمنه وكرمه من نسخة أصله فى رجب الفرد سنة سبع وسبعين وسبعمائة أحسن الله عاقبتها

(تم)